جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت - كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا / ماجستير

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة
لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريتي (٥٤٢هـ)

إعداد :
ا. د : ياسر رشيد حمد

١٤٤٧هـ
٢٠٢٦ م

المقدمة

رغم أن الأدب الأندلسي بدأ متأثرًا بالأدب المشرقي، إلا أنه سرعان ما أثبت مقدرته على المضاهاة والتفوق في بعض الجوانب. وظهر ذلك بوضـوح في أسـاليب التجديد والإبداع الأدبي التي ميّزت الإنتاج الأدبي في الأندلس، مقارنةً بالمشرق.

فجاء كتاب **"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"** غضبة الرجل الغيور ابن بسام الشنتريني ردًا مباشرًا على استعلاء المشارقة، حيث قدّم نماذج من الأدب الأندلسي تضاهي ما عند المشارقة، بل وتتجاوزها في بعض الجوانب.

وبدورنا كدارسـين في هذا الشـأن - الادب الاندلسـي - قمنا بإعداد هذا البحث المصـغر حول الكتاب - هذا الكنز الكبير - والذي جاء هذا في عدّة مطالب، بدءا من التعريفات في اللغة والاصـطلاح، يليها تعريف بالمؤلف والتعريف بالكتاب ودوافع التأليف فمنهج الكتاب وأقسـامه وطبعاته ومطلباً في البانوراما النقدية للمؤلف وأخيراً في أهمية الكتاب وقيمته العلمية، ومن الله التوفيق.

الذخيرة لغة واصطلاحا

الذخيرة لغة: تعني "ما يُدَّخر ويُحفظ للزمان المقبل"، سواء كان ذلك مالًا أو علمًا أو شيئاً آخر. في السياق العسكري، تعني الذخيرة "الأسلحة أو المواد التي تستخدم في القتال مثل الرصاص أو المتفجرات". وبالتالي، تشير الذخيرة إلى كل ما يُحفظ ويُستعمل في وقت الحاجة [1].

الذخيرة اصطلاحًا: هي موسوعة أدبية تاريخية تهتم بتراجم وتوثيق حياة الشخصيات الأندلسية البارزة في مختلف المجالات، مثل الأدب والعلم والسياسة. الكتاب يُعرف بـ "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ويُعتبر مرجعًا مهمًا في دراسة الأدب الأندلسي، حيث جمع فيه ابن بسام سير وأخبار أعلام الأندلس من الأدباء والعلماء، وركز على إبراز محاسنهم وإنجازاتهم.

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين الانصاري ، ت: عبدالله الكبير وهشام الشاذلي ، دار المعارف _القاهرة ، ص: ١٤٩٠ ، مادة ذخر.

التعريف بصاحب الذخيرة

هو علي بن بسام الشنتريني الأندلسي من أعلام الكُتَّاب والنقاد الأندلسيين، في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أبو الحسن، ويقال له الشنتريني نسبة مدينة شنترين الواقعة عند مصب نهر تاجُه في البرتغال حاليًا، ويذكر الحميري هذه المدينة في كتابه "الروض المعطار" فيقول عن شنترين "هي من أكرم الأرضين، ونهرها يفيض على بطائحها كفيض نيل مصر، ولها بساتين كثيرة وفواكه".(١)

ولد ابن بسام في شنترين بعد سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٨٧ م في أسرة غنية، فهو من بيت أصل وشرف، وثراء، وهذا ساعده عن عدم السعي في الأرض بحثًا عن الرزق بما ورثه من ثروة ومن ثم تفرغ لتحصيل العلم، يمكن أن نقف عند المحطات الرئيسية في حياة ابن بسام من خلال أقواله وأقوال من كتبوا عنه، فحياته في شنترين في أول الأمر كانت حياة كريمة، تغمرها النعمة والرخاء من كل جانب، ودليل ذلك قوله في مقدمة موسوعته الذخيرة: «وقد كنا غنينا هنالك بكرم الانتساب عن سوء الاكتساب، واجترأنا بمدخور العتاد عن التقلب في البلاد إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام»، وهذا الغنى أفسح له المجال لطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه، والأدب، وتردد على مجالس العلم (٢)

أما حياته بعد سقوط شنترين في يد الإسبان إلى التحاقه بقرطبة فهي مرحلة تمتد بين عامي ٤٨٥ هـ - ٤٩٤ هـ، حيث سقطت شنترين في أيدي الإسبان سنة ٤٨٥ هـ، ففر عنها سكانها ومنهم ابن بسام الذي ترك كل شيء وراءه ليتحول في لحظة من الغنى إلى الفقر، حيث يصف لنا خروجه من الديار في شنترين، فيقول: «وعلم الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مكلوم الأحناء، وفكر خامد الذكاء، بين دهر متلون تلون الحرباء؛ لانتباذي كان من شنترين قاصية الغرب، مفلول الغرب، مروع السرب؛ بعد أن استُنفِد الطريف والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، بتواتر طوائف الروم... وحين اشتد الهول هنالك، اقتحمت بمن معي المسالك... فوصلت حمص أي "إشبيلية" بنفسٍ قد تقطعت شعاعاً، وذهب أكثرها إلتياعاً؛ وليتني عشت منها بالذي فضلا ! فتغربت بها سنوات أتبوأ منها ظل الغمامة، وأعيا بالتحول عنها عي الحمامة؛ ولا أنس إلا الانفراد، ولا تبلَّغ إلا بفضلة الزاد؛ والأدب بها أقل من الوفاء، حامله أضيع من قمر الشتاء؛ وقيمة كل أحد ما له، وأسوة كل بلد جهاله»(٣) .

ينبض هذا الوصف بالحياة التي تقلبت به حتى شعر بالإهانة لما اعتراه من ضيق ذات يده، وأن لم يجد له قيمة في مجتمعه الجديد، حيث استقر به المقام في قرطبة سنة ٤٩٤ هـ، ثم عاد إلى اشبيلية حيث تحسنت أوضاعه واتصل بوزرائها وأصبح يزوره الأصدقاء والأدباء لضمان مكان لهم في الذخيرة الذي بدأ في تأليفه سنة ٥٠٠ هـ.

---

(١) الروض المعطار في خبر الاقطار ، ابن عبد المنعم الجميري ، تحقيق: احسان عباس ، ط١، دار السراج – بيروت ، ١٩٨٠ ، ص: ٣٤٦.

(٢) المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى، تحيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط: ٣، القاهرة ١٩٥٥، ١١/ ٤١٧_٤١٨.

(٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: احسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب، _ تونس، ١٩٨١، ج١، ص: ١٠٩.

أما وفاته، فقد حددها أبو العباس المقري في موسوعته "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" وحددها بسنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م[١]، ولكن لم يأفل نجم ابن بسام وظل بريق صنعيه المبارك يلمع في آفاق الإنجازات الإسلامية في كل مكان وزمان لما ذاد به عن حياض الثقافة العربية الإسلامية وحفظ كرامتها وميراثها الفذ.

التعريف بالكتاب

كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» مصدر على جانب كبير من الأهمية للباحث في تاريخ الأندلس وأدبها في فترة ملوك الطوائف، التي تلت نهاية خلافة قرطبة الأموية، القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وللكتاب أهمية تأريخية ترجع إلى احتفاظه بفقرات مطولة من كتاب «المتين» لشيخ مؤرخي الأندلس أبي مروان بن حيان (ت ٤٦٩هـ)، وهو التاريخ الذي لم يصلنا، وفيه تناول ابن حيان - بأسلوبه البليغ وصدقه وصراحته المعهودتين- تاريخ الأندلس على عهد ملوك الطوائف. إن هذه الفقرات التي أوردها ابن بسام في كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» هي كل ما وصلنا من كتاب «المتين»، وأضاف إليها ابن بسام تأريخه هو للثلث الأخير من القرن الحادي عشر بعد وفاة ابن حيان.

وأما من الناحية الأدبية، فإن ابن بسام يعرض لنا بأسلوب بديع مرسل -من دون إغراق في السجع كبعض معاصريه- نماذج ومقتطفات من شعر دفتر أعلام الأدباء في تلك الفترة التي شهد جانبًا منها، أو استقى أخبارها من مصادر قريبة العهد بها.

ويتجلى في «الذخيرة» علم ابن بسام وإلمامه بتاريخ العرب وتمثّله وحفظه أشعارهم وأمثالهم. وقد قدم لأقسام الكتاب بتمهيد تاريخي، ذكر فيه أنه كفاه مؤونته مؤرخ قرطبة ابن حيان، كما اعتمد تاريخًا منظومًا للأندلس لأبي طالب عبد الجبار المتيني من جزيرة شَقَر، وقد عاش هذا المؤرخ في حدود سنة ٥٢٠هـ، وبعد هذا التمهيد بدأ تراجم الأعلام فذكر اسم المترجم له ولقبه ونسبه وبلده وبعضًا من شعره ونثره.

ويتجلى في «الذخيرة» علم ابن بسام وإلمامه بتاريخ العرب وتمثّله وحفظه أشعارهم وأمثالهم. وقد قدم لأقسام الكتاب بتمهيد تاريخي، ذكر فيه أنه كفاه مؤونته مؤرخ قرطبة ابن حيان، كما اعتمد تاريخًا منظومًا للأندلس لأبي طالب عبد الجبار المتيني من جزيرة شَقَر، وقد عاش هذا المؤرخ في حدود سنة ٥٢٠هـ، وبعد هذا التمهيد بدأ تراجم الأعلام فذكر اسم المترجم له ولقبه ونسبه وبلده وبعضًا من شعره ونثره[٢].

(١) رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ١٩٧٨، ص: ٦٢.

(٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ج١، ص: ١٠٩.

دوافع ابن بسام لتأليف الذخيرة

كان ابن بسام مُحبًا وعاشقًا لوطنه بلاد الأندلس، ولعلنا تلمسنا بعض هذا الشعور عند حديثه حول سقوط مدينته شنترين في يد الإسبان، إذن كان الرجل غيورًا على بلاده، وقد ساءه ما يلاقيه أدباء وشعراء وصفوة رجال الأندلس من تهميش، فكتب التاريخ والأدب والشعر ذهبت بأخبار المشرق بشعرائه ورجاله، لذا فقد صح عزمه على إظهار ما أبدعه رجال الأندلس من فنون النثر والشعر.

وابن بسام نفسه يعلن هذا السبب في مواضع كثيرة في كتابه، فيقول: «فغاظني منهم ذلك (أى المشارقة) وألفت مما هنالك، وأخذت بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري»[١] .

لقد أراد أن ابن بسام أن يلتمس خُطى أديب المشرق الكبير أبي منصور الثعالبي صاحب "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، فاليتيمة والذخيرة بذلك توأمان [٢] ، يدعوا كل واحد منهما إلى تذوق محاسن بلاده، ((وقد وَعَدْتُ فِي صَدْرِ هذا الكتاب بأنْ أَتَخَلَّلَ أَشْعار الشعراء ، ورسائل الكُتابِ والوزراء ، بما عَسَى أَن يَتَعَلَّقَ بأذيالها ، ويُساير أفياء ظلالها : من أنباء. فتن ذلك الزمان البعيد - كانَ - طَلَقَها، الْمُفَرّقِ لِشَمْلِ الْأَمْرِ في هذه الجزيرة نَسَقُها. ويُلْمِعُ بِنَبَةٍ مِن مَشْهُورِ وَقَائِعها ، ونُشِيرُ بأسماء طوائف توابعها وزوابعها ؛ الذين استظْهَرُوا عَلى شَهَوَاتِهِم بِجَرّ ذُيُولِهَا ، وَامْتَرَوْا بِطَالَاتِهم من أخلافِ أباطيلها ، حتَّى شَقُوا عَصَاها ، وأَداروا بدائرة السَّوْءِ على الجماعة رحاها ؛ لِيَجْمَعَ هذا المَجْمُوعُ بين الشعرِ والخَبَر ، جَمعَ الرَّوْضَةِ بينَ الماءِ والزهر ، والزمان بين الأصائل والبكر ؛ فإني رأيتُ أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في (يَتِيمَتِه) مَحْذُوفا من أخبار قائليه ، مبتورا من الأسباب التي وُصِلَتْ به وقيلت فيه ؛ فأمل قارئ كتابه منحاه ، وأَحْوَجَهُ إلى طَلَبِ ما أَغْفَلَه من ذلك في سواه)) [٣].

والفرق بين ظروف تأليف الرجلين لكتابيهما مختلفة، ولا سواء بينهما في ذلك فظروف الثعالبي كانت أحسن وأهنأ وأكثر استقرارًا، في حين أن ظروف ابن بسام كانت أسوأ سياسيًا وأمنيًا، وكان في حالة نفسية قلقة عند تأليفه كتاب الذخيرة، فقد أُخرج الرجل من شنترين وتغرب في قرطبة، وأنكره الصاحب والحبيب، وقل ماله. ورغم ما عاناه من متاعب، فقد أبى أن يستسلم لما جرى له، وتغلب عن هذا القلق النفسي شاغلاً نفسه بالبحث والتأليف، عن الاشتغال بغير ما ينفع، والحق أن بسام نجح في أن يشغل بكتابه هذا أذهان المشارقة، فياقوت الحموي في معجم البلدان لا يترجم لمدينة شنترين إلا ويذكر أديبها ابن بسام وذخيرته الأندلسية.

ألف ابن بسام كتابه "الذخيرة" الذي اشتهر به سنة خمسمائة من الهجرة، وهذا بحسب ما جاء في معرض حديثه عن أبي بكر بن الملح، حيث يقول: «ومُد لأبي بكر هذا في العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع سنة خمسمائة»[٤] ، لكن من المؤكد أن جمعه لنصوصه بدأت قبل هذا التاريخ، حيث كان يجمع مادة كتابه قبل سنة خمسمائة للهجرة، أي قبل أن يخرجه في صورته النهائية.

---

(١) رايات المبرزين وغايات، ج١، ص: ١٢.

(٢) ينظر، م. ن، ج١، ص: ٨.

(٣) الذخيرة، لابن بسام الشنتريني، جامعة فؤاد الاول، كلية الآداب، مطبوع رقم ٢٦، القاهرة، ١٩٣٩، ص: ٨٠٥.

(٤) م. ن، ٤٥٣/٣.

وذكر ابن بسام في بعض الصحف أنه ابتدأ تحرير الذخيرة بقرطبة سنة (٤٩٣) وقال إنه كان لا يزال معنيا بتحريرها سنة (٥٠٠) وأنه بدأ الكتابة في قسمها الرابع سنة (٥٠٢) ويبدو أنه كان لا يزال يعيد النظر في بعض فصولها، إذ نراه في ترجمته للكاتب ابن أبي الخصال يذكر أنه لم يجد لديه في سنة (٥٠٣) شيئا من ترسله، فسأل بعض إخوانه أن يخاطبه ليرسل إليه بعض نماذج من أدبه[١] . وبدون ريب اقتضت الذخيرة من ابن بسام جهودا مضنية في سنين متطاولة، وهي جهود تنوء بها العصبة أولو القوة.

منهج الكتاب

كان ابن بسام يناهز الأربعين حينما شرع في تأليف (الذخيرة)، وكان يناهز الخمسين عند فراغه من التأليف. ومما يؤيد ذلك قول ابن بسام نفسه في مقدمة (الذخيرة): (فإنما جمعته بين صعب قد ذل، وغرب قد فل، ونشاط قد قل، وشباب ودع فاستقل)[٢] .

كان عصر ابن بسام عصر اضطراب وفتن، يُعدّ أخطر مرحلة في تاريخ الأندلس، أواخر عصر ملوك الطوائف وأوائل الفتح المرابطي، وهي مرحلة بداية انهيار الحكم العربي الإسلامي. ولذلك غادر ابن بسام بلده هارباً من الزحف الإسباني، فارتحل أولاً إلى أشبونة ثم إلى إشبيلية حيث أمضى بضعة أعوام في بؤس وضيق الحال. درس فيها على شيوخها يتعيّش بقلمه وأدبه، لكنه لم يلق فيها التكريم الذي يستحق. وفي سنة ٤٩٤هـ قصد قرطبة، ودرس على شيوخها، واستقرّ فيها بقية حياته.

أقسام الكتاب

قد بين ابن بسام كتاب الذخيرة في المقدمة، اذ قال: وقسمته أربعة أقسام [٣] هي:

- الأول: لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد موسطة الأندلس، ويشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء، ويحتوي على أربعة وثلاثين أديبا.

ثم القسم الثاني: لأهل الجانب الغربي من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي (أي البحر المتوسط)، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء جملة موفورة، وعددهم ستة وأربعون أديبًا وشاعرًا.

---

(١) تاريخ الادب العربي، عصر الدول والامارات في الاندلس، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص: ٨٠٥.

(٢) م. ن، ج١، ص: ١٥.

(٣) ينظر، م. ن، ج١، ص: ٢٢ _ ٣٠.

والقسم الثالث: وذكر فيه أهل الجانب الشرقي من الأندلس، ومن بزغ في سماء هذا العصر من أهل الثغر الأعلى (ويقصد بالثغر الأعلى المناطق الشمالية للأندلس والتي كانت تجاور حدود الممالك الإسبانية المسيحية)، وذكر فيه أسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء وبلغ عددهم ثلاثة وثلاثون.

والقسم الرابع: وأفرده لمن طرأ على هذه جزيرة الأندلس من أديب شاعر، وأوى إلى ظلها من كاتب ماهر، واتسع فيها مجاله، وحفظت في ملوكها أقواله؛ ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهوري أهل تلك الآفاق، ممن نجم في عصرنا بأفريقية والشام والعراق، فيشتمل منهم على جملة، أولهم: أبو العلاء صاعد اللغوي، وبلغ عدد من عرف بهم وتناول حياتهم اثنان وثلاثون.

ونلمس من هذا التقسيم أنه تقسيم جغرافي بامتياز، حيث انطلق من قرطبة حاضرة إقليم الأندلس ثم مُغرِّبا، ثم مُشرقا، ثم ختمه بالوافدين عليها من خارجها من بلاد المغرب والمشرق، وهو ترتيب منطقي، وأظهر فيه مساهمة كل إقليم في خدمة العلم والأدب والسياسة.
ظهور مخطوط الذخيرة إلى النور

إنَّ التُّراث بصورة عامة والتّراث الإسلامي المخطوط بصورة خاصَّة يعد هوية للشعوب الإسلامية ومصدر ثقافتها، والحفاظ عليه من الضياع والاندثار والاهتمام به واجب ديني مقدَّس وأخلاقي ووطني، فهذا التراث المخطوط كان نتيجة لتظافر جهود رجال العلم والعلماء الماضين – رحمهم الله- من هذه الأمَّة، وإنَّهم قضوا بعض سنوات عمرهم، وتركوا بلدانهم للسَّفر للبلدان الأخرى ولاقوا ما لاقوا من معاناة في السَّفر، بحثاً عن العلوم ليوثِّقوها للأجيال اللاحقة بعدهم، وهناك وسائل عدَّة ممكن من خلالها أن نحفظ هذا التراث الإسلامي المخطوط.

تحقيق مخطوط الذخيرة لابن بسام[1] :

فتوفرت عدة نسخ أشهر تلك النسخ، نسخة الخزانة العامة بالرباط، ونسخة دار الكتب بالقاهرة، ونسخة المكتبة الوطنية بباريس، ونسخة المكتبة التيمورية، ونسخة المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال.
وتوالى على تحقيق مخطوط "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام مجموعة من أعاظم المفكرين والمحققين العرب، حيث نُشر القسم الأول من كتاب الذخيرة أول ما نُشر في مجلدين بين عامي ١٩٣٩و١٩٤٢م بعناية لجنة من أساتذة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، تكونت اللجنة من مجموعة من شباب الباحثين آنذاك، وهم: محمد عبده عزام أفندي، خليل عساكر أفندي، بخاطره الشافعي أفندي، فيما تألفت لجنة الأساتذة من العلامة أحمد أمين، والدكتور طه حسين، والشيخ مصطفى عبد الرازق،

(١) قصة الرجل الغيور الذي جمع محاسن اهل الاندلس في كتاب واحد، احمد عادل، بوابة الاهرام، الموقع الالكتروني، تمت زيارته في ٢٧/ ٢٠٢٥/٢،
https://gate.ahram.org.eg/News/٤٣٢٩٢٦٣.aspx

والدكتور عبد الحميد العبادي، والأديب عبد الوهاب عزام، والمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، وهذه المشاركة في التحقيق من أعاظم الكتاب والمحققين والمفكرين يدل على أهمية وعِظم شأن هذا الكتاب، الذي كان يُمثل حين ذاك فتحًا لدارسي الأدب والتاريخ الأندلسي، وفي عام ١٩٤٥م نُشر المجلد الأول من القسم الرابع من الذخيرة الذي يتناول عن الغرباء الذين وفدوا إلى الأندلس من المشرق والمغرب بتحقيق عبد الوهاب عزام، أما عام ١٩٧٥م فكان موعدًا لظهور "الذخيرة" بشكلها الكامل، البداية حين قام الدكتور لطفي عبد البديع بعضًا من القسم الثاني من كتاب الذخيرة الذي تناول إقليم إشبيلية ، ومنطقة غرب الأندلس.
وتصدى شيخ المحققين العرب الدكتور إحسان عباس لمهمة إخراج كتاب الذخيرة بشكله الكامل في ثماني مجلدات تشمل الأقسام الأربعة التي يتكون منها الكتاب، وذلك عام ١٩٧٥م.
وقد سعت تلك الزمرة الكبيرة من هؤلاء المحققين العظام، لإيضاح نصوص الذخيرة، ففسروا غوامض الكتاب، وعرفوا بالأعلام التاريخية، والأماكن الجغرافية، وما استغلق من معاني الكلمات.

ابن بسام ناقداً

إن لابن بسام في هذا الكتاب نظرات نقدية فاحصة؛ إذ لم يكتف بالنماذج الشعرية أو النثرية، بل كان يعمد إلى شيء من التحليل والتقويم، وهو بذلك أدق حسا في النقد من الثعالبي في يتيمة الدهر. ومن العماد الأصبهاني في خريدة القصر.
فإذا تتبعنا النهج الذي التزمه ابن بسام في كتابه، وجدناه يعتذر في مطلعه عما عسى أن يكون قد أغفله أو سها عن ذكره بالظروف الخاصة التي ألف فيها كتابه، وبأن الأوراق التي اعتمد عليها كانت حافلة بالأخطاء.
" لعل بعض من يتصفحه سيقول: إني أغفلت كثيرا، وذكرت خاملا، وتركت مشهورا، وعلى رسله، فإنما جمعته بين صعب قد ذلّ، وغرب قد فلّ، ونشاط قد فل، وشباب ودع فاستقل، من تفاريق كالقرون الخالية، وتعاليق كالأطلال البالية، بخط جهال كخطوط الراح، أو مدراج النمل بين مهاب الرياح، ضبطهم تصحيف، ووضعهم تبديل وتحريف، أيأس الناس منها طالبها، وأشدهم استرابة بها كاتبها. ففتحت أنا أقفالها، وفضضت قيودها وأغلالها، فأضحت غايات تبيان وبيان، ووضحت آيات حسن وإحسان "[1].
وقد حرص ابن بسام في الذخيرة على الترجمة لأدباء الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، وأوائل عصر المرابطين ترجمات مفصلة ، تعتمد على سرد جو انب كثيرة من إبداعاتهم الشعرية والنثرية ، ويذكر ابن بسام أنه لم يفسح في ذخيرته مكانا لأدباء الدولة المروانية ، ولا للمدائح العامرية ؛ وذلك لأن أحد أدباء الأندلس في العصر المرواني ، وهو (ابن فرج الجياني) وضع كتاب (الحدائق) ، الذي ألفه للحكم المستنصر عارضا أطرافا من محاسن أهل زمانه ، وقد ألفه معارضا كتاب (الزهرة) لابن داوود الأصبهاني ، وقد هدف ابن بسام من ذلك إلى عدم تكرير ما سبق إليه الجياني وغيره ،وأن يترجم لعدد من الأدباء في عصره هو.

---

(١) الذخيرة لابن بسام، ج١، ص :١٥.

وهو أكثر النقاد بالأندلس - في القرن السادس - احتفالاً بقواعد النقد وتطبيقها.
وهذا ما نلمحه في الأساس النقدي الذي يقوم عليه كتاب الذخيرة، لأن ابن بسام لم يكتب في النقد الأدبي شيئاً مستقلاً.
يمكن أن نقول إن مذهب ابن بسام في النقد يقوم على ركيزتين كلتاهما تتصل بأبي محمد ابن حزم:
إحداهما: ركيزة الدفاع عن تراث الأندلس الأدبي عامة.
والثانية: النظرة الأخلاقية في الحكم على بعض الفنون الشعرية؛ وقد شفع ابن بسام هذه الفلسفة بمواقف تطبيقية تناول فيها بعض الشؤون الأدبية وخاصة قضية السرقة إضافة إلى تجافيه عن فن الهجاء .
إضافة إلى رفضه لتضمين مؤلفه أي موشح وذلك لأنه كان يركز على النثر ويقدمه لكل الذين ترجم لهم وكذلك الشعر التقليدي الفصيح، ولم يكن ينظر إلى الموشحات كشكل شعري يرقى إلى مستوى القصيدة العربية الكلاسيكية من حيث الفخامة والجزالة وإنما أقرب إلى الغناء والتسلية منها إلى الأدب الرفيع.
لم يكن ابن بسام الشنتريني مجرد مؤرخٍ للأدب الأندلسي، بل كان ناقدًا متميزًا يمتلك رؤية تحليلية تُميز بين الجيد والرديء في النصوص الأدبية، وتكشف عن الذوق الأدبي الرفيع في الأندلس. يتضح دوره النقدي بوضوح في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، حيث لم يقتصر على جمع النصوص الأدبية، بل قام بتحليلها والتعليق عليها، وبيّن أوجه القوة والضعف فيها.

ملامح النقد عند ابن بسام[1]:

١. التمييز بين التقليد والإبداع

كان ابن بسام واعيًا بالفرق بين الإبداع الحقيقي والتقليد، فانتقد بعض الأدباء الذين يقتبسون من المشارقة دون إضافة جديدة، بينما أشاد بمن استطاعوا التجديد والابتكار في الأدب الأندلسي.
في مقدمته، أشار إلى أن أهل الأندلس يستلهمون من المشارقة، لكنه في الوقت نفسه أكد على تفرد الأندلسيين بأساليبهم الخاصة.

٢. إبراز جودة النصوص وضعفها

لم يكن ابن بسام محايدًا في عرض النصوص، بل كان ينتقد بعض الأساليب المبتذلة أو المتكلفة، بينما يشيد بالنصوص ذات البلاغة العالية والصور الفنية المبتكرة.
يظهر ذلك في تعليقه على شعراء عصره، حيث كان يمدح من تميزوا بجزالة الألفاظ وقوة المعاني، وينتقد من غلب عليهم التصنع والتكلف.

---

(١) رؤية في كتاب الذخيرة، عبير محمد بدوي، كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة، الرياض، ١٤٣٦هـ.

https://m.mu.edu.sa/sites/default/files/content/٢٠١٧/٠٩/bb.pptx

٣. المقارنة بين أدباء المشرق والأندلس
مارس ابن بسام نقدًا مقارنًا، حيث كان يقارن بين أساليب الكتابة في الأندلس والمشرق، مشيرًا إلى أوجه الشبه والاختلاف بينهما.
في بعض المواضع، يرى أن المشارقة أكثر أصالة بحكم السبق الزمني، لكنه في مواضع أخرى يبرز تفوق الأندلسيين في بعض الفنون، مثل الموشحات والوصف الشعري.

٤. تحليل الأساليب الأدبية
أظهر ابن بسام قدرة تحليلية في تفكيك الأساليب الأدبية، حيث ناقش طريقة بناء النصوص، وجمالياتها، ومدى تأثيرها.
كان يعلق على بعض الأساليب البلاغية، مثل السجع، والصور البيانية، والموسيقى الشعرية، مما يعكس فهمه العميق لفنون البلاغة.

القيمة العلمية للكتاب

جاءت الذخيرة تمثل موسوعة أدبية بالغة القيمة ، مما أنتجته البيئة الأندلسية في مرحلة إثبات الوجود ، والإحساس الحاد بالغيرة في زحمة الانتماء إلى المشرق أو الذوبان في لجته .وحقا ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف في تقرير أهمية الذخيرة ، ودورها في التعريف بالأدب الأندلسي حيث يقول : (لولا الذخيرة لظل الأدب الأندلسي بروائعه الباهرة؛ شعرا ونثرا محجوبا عن الباحثين ، ولما استطاع أحد أن يكتب تاريخه)[١] فضلا عن كونه موسوعة أدبية اندلسية جليلة ، هو مرجع تاريخي هام لعصر الطوائف وملوكه ورجالاته وخواصه السياسية والاجتماعية، وما ينقله الينا من فصول وشذور في ارقى عصور الادب وجهابذة الاعلام في تلك البلاد البديعة.

---

(١) تاريخ الادب العربي، ص: ٥٠٨.

الخاتمة

يُعد كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" من أهم المصادر الأدبية والتاريخية التي توثق الحياة الثقافية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري. ألفه أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت. ٥٤٢هـ)، وهو أديب وناقد بارز عاش في فترة شهدت ازدهار الأدب الأندلسي.

يهدف الكتاب إلى جمع وتوثيق سير أبرز أدباء وشعراء الأندلس، مع تسليط الضوء على أعمالهم الأدبية ونماذج من شعرهم ونثرهم، بالإضافة إلى التعليق النقدي عليهم. وقد قسّم ابن بسام كتابه إلى أربعة أقسام، تناول فيها شخصيات مختلفة من أهل الأندلس، مستعرضًا إنتاجهم الأدبي بأسلوب يجمع بين النقد الأدبي والتاريخ الثقافي.

يتميّز "الذخيرة" بأنه لا يقتصر على توثيق النصوص، بل يقدّم آراء نقدية وتحليلات تعكس ذائقة ابن بسام المحافظة، حيث كان يميل إلى الشعر التقليدي ولم يُعْنَ بالموشحات الأندلسية. كما يعكس الكتاب صورة حية للمجتمع الأندلسي، إذ يتناول الحياة الفكرية والسياسية وتأثيرها على الأدب.

وبفضل هذا العمل، أصبح ابن بسام أحد أبرز المؤرخين الأدبيين في الأندلس، واعتمد عليه لاحقًا العديد من الباحثين في دراسة الأدب الأندلسي والحياة الثقافية في تلك الفترة.

قائمة المصادر والمراجع

١. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات في الأندلس، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس ١٩٨٠م.

٣.الذخيرة، لابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) جامعة فؤاد الاول، كلية الآداب، مطبوع رقم ٢٦، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م.

٤.رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ١٩٧٨.

٥.رؤية في كتاب الذخيرة، عبير محمد بدوي، كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة، الرياض،١٤٣٦ هـ https://m.mu.edu.sa/sites/default/files/content/٢٠١٧/٠٩/bb.pptx

٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، ابن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار السراج، بيروت، ١٩٨٠.

٧. قصة الرجل الغيور الذي جمع محاسن أهل الأندلس في كتاب واحد، أحمد عادل، بوابة الأهرام، الموقع الإلكتروني، تمت زيارته بتاريخ ٢٠٢٥/٢/٢٧
https://gate.ahram.org.eg/News/٤٣٢٩٢٦٣.aspx

٨. لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، تحقيق: عبد الله الكبير وهاشم الشاذلي، دار المعارف -القاهرة.

٩. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت) (٦٨٥هـ)، تحقيق الدكتور شوق ضيف. دار المعارف، ط٣، القاهرة ١٩٥٥.